

غياب الأرشيف الوطني والمق الجماعي

جعفر فرح

مدير مركز مساواة

عانينا خلال اعداد هذا الكتاب من قضية غياب الأرشيف الوطني للجماهير العربية الفلسطينية في اسرائيل. وهذا الارشيف هو حق وطني وجماعي يحق لكل مجموعة سكانية ترغب في التطور من خلال دراسة عميقة لسيرورتها السياسية، الثقافية والحضارية. وأفضل أرشيف وجدناه لتوثيق تجربة يوم الأرض وهي تجربة مهمة ومفصلية في حياة المجتمع العربي الفلسطيني في أرض الوطن هي صحيفة الاتحاد والتي تعاني منذ سنوات من أزمة مادية خانقة منعت من جماهيرنا وباحثينا حق استخدام هذا الارشيف الذي يرافق حياة مجتمعنا قبل النكبة وحتى يومنا هذا. وعند البحث عن مواد توثق النضال على الأرض وجدنا عشرات الصور والمستندات في بيوت رؤساء المجالس وقيادات المؤسسات الوطنية التي حافظت على الصور والمستندات كذكرى لثمن دفعه مجتمعنا قبل ان يستكتتب البعض التاريخ ويستشرق باحثا عن «الجيل المنتصب». ويأتي هذا الكتاب ليوثق بالمستندات التاريخية والصور مسيرة شعب رفض ان ينحني وبقي «منتصب القامة يمشي...». وها نحن نصدر هذه المساهمة المتواضعة بحق من ثبت من أهلنا في هذا الوطن وحافظ على بقاءنا وتجزير وجودنا ولم تكن هذه مهمة سهلة في ظل المؤامرة على شعبنا منذ النكبة مرورا بالحكم العسكري والنكسة وتهجيريه وتحويل غالبيته إلى لاجئين. وغالبية من بقي في أرض الوطن

ساهم في اعادة بناء هذا المجتمع وبناء مؤسساته الثقافية، السياسية والمجتمعية. ومراجعة لأرشيف الحزب الشيوعي ولجنة الدفاع عن الأراضي ولجنة المبادرة الاسلامية وحركة الأرض يعطي اكثر من دليل على الثمن الشخصي والجماعي الذي دفعه من ناضل لتجذير بقاءنا وتطورنا في هذا الوطن، رافضا خيار التهجير والنزوح والخنوع.

ويساهم غياب الارشيف وغياب الجامعة البحثية ومراكز الاباحث الجامعية في تشويه الواقع وتغييب الماضي ليتحول الواقع إلى ظاهرة مبتورة لا علاقة لها مع السياق والتراكمية وتبقى الصورة التي يصفها بعض الموثقين الجدد صورة واحدة لحدث واحد لا نستطيع منها فهم السياق المتكامل لعملية التطور التاريخي، الثقافي، السياسي، الاقتصادي والحضاري لمجتمعنا.

وللتاريخ ندون بهذا الكتاب ان مؤسسات وطنية مثل «الجديد» ، «الاتحاد» و«الصوت» قد وثقوا في اللغة العربية عدد من الحوارات والمحاوور التي رافقت مسيرة نضال جماهيرنا. فتوثيق حوار المثقفين العرب وأحزابنا السياسية حول اقامة الجامعة العربية هو من أهم المستندات التي توثق النضال حول الحق في التعليم والتعليم العالي الذي رافق مجتمعنا في السبعينات وما زال يرافقنا حتى اليوم. ونشكر بهذه المناسبة لجنة الدفاع عن الأراضي التي قامت بتوثيق يوم الأرض، وبقي «الكتاب الأسود» مرجعاً أساسياً يوثق نضال ما زال يرافقنا حتى اليوم. وانصافا لحق هؤلاء نعيد نشر أجزاء من «الكتاب الاسود» ونفخر بنشر قائمة أسماء أعضاء لجنة الدفاع عن الأراضي وهم من قادوا جماهيرنا للدفاع عن الأرض وحافظوا على حق الناس في بناء المسكن، وما زال هذا الحق موضع نضال مستمر يرافق غالبية قرانا ومدننا.

عندما بدأ مشروع التوثيق توجهت الينا طال بن تسفي وعرضت أرشيفها الشخصي وعملها التطوعي. واستغربنا ان تقوم يهودية في توثيق تاريخ يوم الأرض ولكن العمل على هذا المشروع كشف لنا ما كنا نعرفه عن دور التقدميين اليهود منذ النكبة، مروراً بالكشف عن مجزرة كفر قاسم ووصولاً إلى يوم الأرض. وها هو غرشون كنيسبل يرافق عبد عابدي في بناء ضريح الشهداء الذي نجتمع حوله منذ 30 عاما. وها هم اليهود الرافضين لممارسات شعبهم القامعة والواقفين إلى جانب الحق الانساني ونحمل نحن مسؤولية اختراق الحصار على شعبنا وتوسيع دائرة الداعمين لحقوقنا الشرعية في البلاد والعالم.

لأعادة بناء مؤسساتنا ودراسة التحديات امام مجتمعنا دور مهم في استمرار النضال من أجل حقوق مجتمعنا. ونحن نشارك في مركز مساواة في اعادة بناء هذه المؤسسات ونحيي كل من يكمل المشوار وندعو الباحثين العرب إلى توثيق تجارب مؤسساتنا فلجنة الاربعة، والمجلس الاقليمي للقرى غير المعترف فيها في النقب والمركز العربي للتخطيط البديل واللجان الشعبية للدفاع عن الأرض والمسكن دور هام في الانتقال من مرحلة الدفاع إلى مرحلة البناء والتطور. ونحن نصدر هذا الكتاب مساهمة منا في توثيق تجربة مجتمعنا النضالية لتشكل مرجعية ورافعة لاستمرار النضال.

ونسلمع في كثير من الاحيان من يقول «وما فائدة النضال» وها هي تجربة يوم الأرض دفعنا ثمنها غاليا، ولكن من ناضل تمكن من الغاء الأوامر العسكرية، التي هدفت إلى مصادرة 21 الف دونم وأجبرت الحكومة على التنازل عن مخططاتها وها هي منطقة الممل خضراء، وندعو من يشكك في جدوى النضال ان يزور آلاف الدونمات ويشاهد بأمر عينيه هذا الانجاز الذي تبعه تحرير أرض الروحة.

10/3/2008